



وتضليل! (البيان الدعوي ص 8)، لأن العمل السياسي ليس أصلاً من أصول الدين ولا التسدين، وليس هو -بناءً على ذلك- أصلاً من أصول الدعوة. وإنما هو وسيلة تابعة، وفرع خادم، وآلة استبصار مهمة، بل ضرورية؛ لتحقيق مناهج العمل الدعوي (البيان الدعوي ص 168)

**- نقد المسلك التربوي التعليمي الرسمي المغربي:** إن مما يتعلق بالتربية والتعليم الإسلاميين الوعي بالمخططات التربوية والتعليمية المغربية التي دخلت الأمة مع الاستعمار والتيارات العلمانية بعده والتي كان من أهدافها الكبرى القضاء على الإسلام وعلى مؤسساته التوجيهية الضامنة لاستمرار الدين في المجتمع، ولعل أهم ما يمكن رصده في المجالين التعليمي والثقافي -كما يقول فريد- هو سيطرة الفرنكوفونية على الوضع مطلقاً؛ فالتعليم لم يستطع التخلص من عقدة اللغة الفرنسية (الفجور السياسي/ ص 47)، فاللغة الفرنسية يأسادت ليست لغة وكفى. إنها نوع خاص من الثقافة، إنها ثقافة العهارة! (الفجور السياسي/ ص 48).

فضلاً عن هذا فبرامج التعليم ومضامينها ما دامت ذات طابع علماني فإنها قاصرة عن تخريج العلماء الربانيين والدعاة المخلصين، كما أن غياب التربية المنهجية في البحث العلمي أدى إلى وجود ثلمات كبيرة في هذا الجانب طالما علا صوت أسناننا في التنبيه على خطورتها في حال استمرارها.

**- نقد واقع الدراسات الإسلامية بالجامعات:** حمل الأستاذ فريد منذ فترة مبكرة هم الدراسات الإسلامية وأقلقه واقع التعليم الجامعي عموماً وواقع الدراسات الإسلامية خصوصاً بسبب ما تعانيه الجامعات الإسلامية والمعاهد الشرعية عبر أقطار العالم الإسلامي -إلا قليلاً- من أزمة ما سمي بقضية التحديث أو إصلاح برامج التعليم -ومن أجل ذلك فقد تدرجت -مع الأسف- من الأعلى إلى الأدنى عبر فترات ومراحل متتالية (مفهوم العالمية ص 6) وهذا الوعي بهذا الواقع العقيم هو ما دعا فريد إلى تأليف كتابه في أبعديات البحث ومفهوم العالمية ومفهوم الفطرية وكذلك البيان الدعوي وغيرها من الكتب التي ضمنها هذا الهاجس بالأصالة أو بالتبع والعرض.

وأخيراً يظهر مما سبق أن الأستاذ فريد رحمه الله أجل من تحييط هذه الكلمات بكل أفكاره، ولكن حسبنا أن نقول إنه حمل في صدره هموم الأمة المسلمة وهموم التربية الإسلامية بمفهومها القرآني وتطبيقاتها النبوية وفي تجلياتها المختلفة، وفي مقاصدها العمرانية الحقيقية. وقد كان وسط سجع الظلام الكثيف المحقق بالأمة ينسج خيوط عمل مضمون ومركب ينهض أولاً ببناء التصور الإسلامي لمفاهيم التربية والدعوة والتجديد والإحياء وإبراز آلياته ووسائله وخطه العامة والعملية، وينهض ثانياً بتحليل غبار الواقع ونقد وبيان مختلف الأخطاء التي شابت واقع العمل الإسلامي من جهة، ثم تحليل وكشف الخيوط الخارجية المحدقة بهذا العمل، وإنك لنقرأ للرجل أفكاره التربوية فتجده عالماً ربانياً وفقهاً سياسياً وأديباً رسالياً ومصلاً اجتماعياً وناصحاً أميناً وحكيماً، وكان يجمع بين جوانحه التطلع الثاقب للماضي والنظر الفاحص للواقع والاستشراف المتبصر للمستقبل. لله درك من رجل فريد، فهل توجد الدنيا بمثلك أم أن الفريد فريد وكفى؟!

ويحدد الأستاذ رحمه الله مجالات فقهه الواقع في أربعة أسس، وهي التعليم والإعلام والاقتصاد والسياسة وهي التي تشكل قوى عمران البشري المتحركة في نسجه الاجتماعي العام (الفطرية ص 41) فلا بد من السيطرة على الواقع لأن من سيطر على الواقع تمكن من صنع الواقع ومن سيطر عليه صنعه الواقع وتحكم فيه.

**■ الجانب التطبيقي والعملية:** لم يترك شيخنا رحمه الله آراءه التربوية مجرد أفكار ولا نظريات وإنما حاول تنزيلها بنفسه وممارستها في واقعه بما استطاع من قوة الكلمة والبيان والعمل والتدريس والوعظ والإرشاد وقد خصص بعض كتبه لبيان كيفية تنزيل وتطبيق ما دعا إليه كما هو الحال في كتاب "مجالس القرآن من التلقي إلى التلقي" الذي يمكن اعتباره دليلاً عملياً لكيفية الدعوة والتربية بأصولها التي بينها في كتاب "التوحيد والوساطة" وفي غيره من الكتب العلمية، وفي كتاب "الفطرية" وكتاب "بلاغ الرسالة القرآنية" وكتاب "مفهوم العالمية" وكتاب "ميثاق العهد" وقبل ذلك كله كتاب "أبعديات البحث".

### «ثانياً - الجانب الهدي:

ويتعلق الأمر بنقد المسالك والمناهج التربوية المنحرفة عن أصول الشرع

### حمل الأستاذ فريد الأنصاري في صدره هموم الأمة المسلمة وهموم التربية

الإسلامية بمفهومها القرآني وتطبيقاتها النبوية وفي تجلياتها المختلفة، وفي مقاصدها

### العمرانية الحقيقية

وقواعده ومقاصده لدى المسلمين قديماً وحديثاً وتجلي ذلك في:

**- نقد المسلك التربوي الواسطي:** وتجلي هذا في كتاب "التوحيد والوساطة" فقد كان هذا الكتاب مزدوج القصد يجمع بين البناء والهدم، وقد سبق عرض جانبه البنائي وبقي القول في جانبه الهدي إذ لم يكن بيان المنهج التوحيدي كافياً من غير نقد مسالك التربية المنحرفة والتي عبر عنها فريد بالتربية الواسطية القائمة على وجود الوسيط الربوي بين العباد وبين المصادر الأصلية، ومن أكبر تجلياتها التربية الصوفية التي تقوم على وساطة الشيخ وتقديس أفكاره وجعلها وسيلة لفهم الدين أو الفهم السليم للدين، والوساطة الفكرية التي تقوم على تقديس مفكر بعينه مفسراً أو متكلماً أو فقيهاً أو مفكراً معاصراً أو داعية معينا. وقد كان لشيوع التربية الواسطية آثاره الوخيمة والخطيرة في شيوع الجمود والتقليد والتعصب وكل مظاهر السلبية وهجوم الفجور السياسي الطبيعي والمصنوع!!

**- نقد المسلك التربوي التجزيئي والتضخيمي:** إن بناء تصور تربوي سليم لا يجد له مكانة وقبولاً ما لم يتم نقد التوجهات التربوية التي سادت الدعوة الإسلامية المعاصرة من قبيل التجزيء والتضخيم الفقهي أو الروحي أو الفكري أو السياسي، فليس أخطر على الإسلام من تحزيبه وتقزيمه في شكل مذاهب أو تنظيمات أو أحزاب وبرامج سياسية أو غير ذلك وليس أضر بالإسلام من تضخيم الجزء أكثر من الكل لذلك لاحظ أن من أخطر أخطاء العمل الإسلامي المعاصر الوقوع في شرك تحزيب الإسلام (البيان الدعوي ص 153) ذلك أن علاقة السياسي بالديني في الإسلام.. هي علاقة الجزئي بالكلية؛ وإذن فإن تدبير الكلي الديني من خلال الجزئي السياسي هو قلب للميزان. وتشويه للعمل الدعوي، بل تحريف له

تجديد الفهم للدين، وتصحيح التصور في المفاهيم الكبرى والقضايا المركزية في الدين الواردة في كلمات الله (القرآن الكريم)، وبيانات الرسول ﷺ. وقد عمل فيه الأستاذ على تجديد منهج فهم الدين والعلم ومفهوم العالم، وقد تجلى عمله في عمله العلمي في الدراسات المصطلحية وفي عمله في رسالة "مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية" وكتابه "أبعديات البحث في العلوم الشرعية" حيث سعى في كل ذلك إلى إبراز المقصود من تجديد الدين ورسم المعالم الرئيسية والخطوات الكبرى والضوابط الكلية، لذلك يعتبر الأستاذ فريد على غرار أستاذه الدكتور الشهيد البوشيخي أن أكبر معضلة تواجه الأمة هي معضلة المنهج، وانطلاقاً من ذلك فإن منطلق التجديد في فهم الدين وفقهه وتجديد علومه هو تجديد مناهجها في التعامل مع الدين قرآناً وسنة وأن فقه النصوص يساوي المنهج في التعامل مع تلك النصوص (مفهوم العالمية ص 68)، وما دام الأمر كذلك فنحن في حاجة إلى تجديد قضايا العلم، نعم، ولكننا في حاجة أشد إلى تجديد مناهجها، وإنما قضاياها تبع لمناهجها والنتيجة فإن تجديد المناهج هو الكفيل بتأطير بعثة التجديد وإسنادها على المستوى العلمي (الفطرية ص 219)،

وفي هذا السياق انتقد بعض مناهج النظر في التراث الإسلامي خاصة في: علم الكلام بتخليصه من الطابع الجدلي الذي هيمن عليه وربطه بالتزكية والتخلق (مفهوم العالمية ص 69 إلى 74)، وفي الفقه على أساس تخليصه من التقليد والتعصب وربطه بالأصول ثم بعمقه المقاصدي (الفطرية ص 220 وما بعدها و 224 وما بعدها) وليس التجديد مقصوداً على هذين العلمين بقدر يراه ممتداً إلى سائر العلوم الشرعية وعلوم القرآن والسنة وفقه اللسان وفقه الواقع (مفهوم العالمية: الفصل الثالث، والفطرية الفصل الثالث أيضاً وأبعديات البحث) وغيرها مما يدخل في كل ما يخدم عملية فهم الدين وتجديده وتنزيله.

**ب- فقه الواقع:** يجعل الأستاذ فريد فقه الواقع جزءاً من فقه الدين وينظر إليه بصفته الجزئية التي تنضبط بضابط الكلي ويأخذ حجمه من غير تضخيم، وهو شرط صحة الإفتاء (مفهوم العالمية ص 81) وقد عبر عنه القدماء بفقه تحقيق المناط، ويسميه المحدثون بفقه الواقع (مفهوم العالمية ص 81) أو "أصول الفقه السياسي" (مفهوم العالمية ص 81 والفطرية ص 228 وما بعدها) والتربية الإسلامية في هذا المجال تقوم على العناية به من حيث مراعاة مرتبته التي لا تتعدى كونه جزءاً من كل، مع الاجتهاد في وضع قواعد وضوابط كلية تؤسس لمنهج معرفة سنن التحولات وسنن التوقعات والمآلات فيما يتعلق بتدبير شؤون المجتمعات على المستوى المحلي والدولي، لذلك كان فقه الواقع ضرورة من ضرورات الاجتهاد المعاصر، ولا يجوز لعالم أن يتصدى للإفتاء في الشأن الإسلامي العام المرتبط بمصائر الشعوب الإسلامية، وأمنها الاستراتيجي، المادي والمعنوي، إلا بتحصيل درجة الاجتهاد فيه (الفطرية ص 228) على موازين الكتاب والسنة،

### نظرات في المسألة التربوية (تمة)

سعيد القطان، ويحيى بن معين، مروا بأئمة الفقه الكبار، وعلماء الأمصار كالإمام أبي حنيفة النعمان، والإمام مالك بن أنس، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام الليث بن سعد، والإمام الأوزاعي، والإمام الطبري. ثم جاء بعد ذلك الأئمة الذين حملوا لواء الإصلاح، على الصعيدين العلمي والاجتماعي، كالإمام أبي حامد الغزالي (ت: 505هـ)، والإمام عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 596هـ)، وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ) إلى مجدد القرن الثامن الهجري في المشرق، تقي الدين أحمد بن تيمية (ت: 728هـ)، الذي ما زالت تجربته التاريخية وكتبه تشكل إلهاماً نموذجياً لحركة التجديد الديني في العصر الحاضر. ويلحق به تلميذه المشهور الإمام ابن القيم رحمهم الله أجمعين.

ثم مجدد القرن الثامن في المغرب، إمام غرناطة الشهير أبو إسحاق الشاطبي، صاحب الموافقات والاعتصام (ت: 790هـ)، الذي شكل هو أيضاً منعطفاً تاريخياً مهماً جداً في تاريخ الإصلاح العلمي والاجتماعي في الإسلام... ثم جاء بعد ذلك الإمام السيوطي، وغيره كثير... إلخ... ومن الإمام محمد بن عبد الوهاب المتوفى: (1206هـ)، إلى الإمام جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، والإمام حسن البنا، ومحمد إلياس الكندهلوي بالهند، والأستاذ ديع الزمان سعيد النورسي بتركيا... إلخ. رغم اختلاف التوجهات والاجتهادات والمظاهر والتجليات، ومستويات الوعي الديني بين هذا وذاك. ثم ما تفرع عن هؤلاء وأولئك، من حركات تجديدية بهذه الصيغة أو تلك، عبر مختلف دول العالم الإسلامي. (البيان الدعوي ص 32-31) (الفطرية ص 66 إلى ص 70) (والتوحيد والوساطة/ ج 2)

إن هذه السلسلة الذهبية من المريين والعلماء الربانيين في مختلف مراحل تاريخ الأمة المتعرج هي التي وقف عندها فقيها الأنصاري رحمه الله واستجلى من تجاربها دروساً في تجديد الفهم للدين وتجديد الدعوة إليه وإحياء بعثة التجديد المقبلة على منهج الفطرية في التلقي والفهم والتبليغ والتربية وإصلاح المجتمع، فقد كان رحمه الله يرى في هؤلاء نموذج العالم الرباني الحكيم الربوي كما كان يعتقد "أن المطلوب اليوم إنتاج الوفرة من هذا النموذج، وفرة تزيد ولا تنقص، وإن حاجة الأمة إلى العلماء من هذا النوع هو بعدد حاجتها إلى الأطباء قوة ووفرة" (الفجور السياسي ص 78).

**■ فروع الامتداد:** مما سبق يتبين أن الخطاب التربوي للأستاذ فريد عبارة عن مشروع إصلاحي شامل، متعدد الجوانب ومتكامل العناصر ومتناسق في أهدافه فهو لا ينصب على الجانب الخلقى فقط كما يعتقد كثير من الناس ممن يقصرون التربية على جانبها الخلقى إذ "من الخطأ قصر التربية على جانب التزكية الروحية دون سواها أو العكس" (التوحيد والوساطة/ ج 1 ص 27) بل هي كل متكامل ومعقد مما يمس الحياة البشرية روحياً وعلمياً ونفسياً واجتماعياً ورياضياً... الخ (التوحيد والوساطة/ ج 1 ص 27)، وهكذا يمكن القول إن هذا الخطاب التربوي تمتد فروعه لتمس جميع مكونات الذات ومكونات البناء الاجتماعي لأن ذلك نسج كلي متداخل ومتكامل، ومن أبرز تلك الفروع:

1- فقه الدين: إن واحدة من واجبات التربية المهمة في إطارها الإسلامي هو